الإنسان ويرفقه إلى بهائه الذى لا يدركه العقل، وإنما يحسه القلب ويحبه ويعبده. ولأجل الاتحاد بالله يجب المران بلا انقطاع على التأمل الصوفى، يجب إطراح الحواس والأفعال العقلية، والذهاب بقوة فائقة للطبيعة إلى الموجود الدائم وراء كل ماهية وكل فكر[1].

وخلاصة القول أن النص الأخير الذى ينفى فيه القول بالاتحاد أو تأليه الإنسان ليس كافيًا لنفى مفهوم وحدة الوجود عنده، أو بعبارة أخرى، لا يوجد تعارضًا بين هذا النص والنصوص التى تؤكد أن الله والطبيعة جوهرا واحدا وليسا جوهرين متمايز أحدهما عن الآخر. أحدهما عقلى متناه هو الإنسان والآخر عقلى غير متناه وهو الرب.

ثانيًا ـ الزهد والمجاهدة

إن الإنسان عند فيلون مركب من الروح Soul والجسد، الجسد مرتبط بالمادة، والروح متصلة بالله. حتى يكون الاختيار فى الحياة[2]. وهو بذلك اما أن يجذب إلى الأرض الشهوانية، وإما أن ينجذب نحو الله والروحانية. وكلا الطريقين يصنع الإنسان. فالأول يصنع إنسانًا ملحدًا، والآخر يصنع إنسانًا يفنى ذاته فى الرب. والطريق الأول عند فيلون مستهجن لأنه مبنى على الرغبة واللذة والشهوة. لذلك نقد فيلون كل من هذه المكونات الشهوية، معتبرًا الرغبة خطيئة مدمرة.

والرغبة عند فيلون هى فعل قصدى، حاول أن يفسرها فى الوصايا العشر The Decalogue. وهى بمثابة الوصية الأخيرة «فهى خطيئة مدمرة، وعندما تنتشر تهز الروح، وتجعل منها روحا مريضة، وهى على عكس الانفعالات

(1) نفس المرجع. ص 55.

(2) Encyclopedia Judica vol 3: philo, p 414.

الشريرة التى تحدث بدون قصد فينا،ولكن الرغبة تتواجد فينا بشكل متعمد»[1].

وهى بمثابة الومضة أو الضوء الذى يومض فيقع على العين، فيثير العين، وهذه الإثارة للنفس تسمى متعة، وتصور لنا أنها جيدة، يحاول الإنسان أن يحصل عليها ويرشد نفسه نحوها ويتحمل المتاعب، والمشقات، وقد تفقد العين قوتها ويضعف إبصارها بسبب التحملق المستمر والمكثف على هذا الشيء [2].

هذا التحديد لمفهوم الرغبة يبدو كما اعتقد على عكس طبيعتنا البشرية فالمعروف أن الرغبة فطرية لدى الإنسان، وما دامت هى غير مكتسبة فإذًا هى غير قصدية على عكس ما يرى فيلون، أما الانفعالات الشريرة فهى قد تخضع لتكوين الطبيعة البشرية فهى إما قصدية وتكون داخلة فى طبيعة البشر أى من أصل تكوينهم المكتسب من المجتمع، وإما أن تكون غير قصدية، فبعض الناس يفعلون الشر دون أن يدركوا أنه شر، ويفاجئون عند لومهم على هذا الفعل الغير قصدى.

إن الفعل القصدى مدمر ومن يسيطر عليه يبدو متعطشًا إلى المزيد، ولا يمكن أن يكون راضيًا بما حصل عليه، إن رغبة هذا الإنسان تبدو كمرض يشبه الإعاقة التى لا نستخدم فيها القواطع ـ المشارط ـ إنما علاجها يكون بلا جروح، ففحصها يكون عقليًا وفلسفيًا مثل الطبيب الناجح. هذه الرغبات المتوهجة ستدمر كل شئون الحياة عند النفس البشرية، فلا شيء يجابه الرغبة المكبوتة، حين ترى طريقها للحرية فجأة فإنها تنتشر كالنار فى الهشيم»[3].

(1) Philo: The Declogue, chxxv111, 142, p 77.

(2) Ibid: chxxviii, 147-148, pp 79-81.

(3) Ibid: chxxviii, 150-151, pp 81.

إن هذه الأفعال القصدية هى بمثابة مرض يمكن كبحه أو علاجه. وكبحه لا يكون محسوسًا وإنما هو عقلى كما يفعل الطبيب، لأنها لو تركت هكذا بلا علاج فإنها ستدمر الإنسان ذاته ثم العالم بعد ذلك لأنها ستخرج من حيز المكبوت إلى الحرية.

ويمكن أن يكون طريق معالجة هذه الرغبات هو سلوك عملى يدخل إلى حيز الممارسة العملية عن طريق المجاهدة « لأن كبح اللذة هو الوسيلة الوحيدة للحصول على البركات، ولكونها صفة شريرة ومدمرة، فهى غير مقدسة لأنها تعيق الأخلاق[1].

وإن كانت الرغبة هكذا مدمرة وغير مقدسة فهى شهوة تعيق الروح فى اتحادها بالله، والروح عند فيلون إلهية، فإذا اختلط مفهوم الروح بالرغبة، فهو كفيل بأن يقطع صلتها بالرب. وكان لزامًا على من يريد أن يتصل بالله أن يقطع أوصال رغبته وشهواته.

«إن من يتمسك بالشهوات أو برغباته فإنه يرى أن هذا الانغماس شىء جيد. إن هذا الإنسان هو الإنسان الأرضى الذى جل همه أن يجمع الثروات ويصبح ثرى، أما الإنسان الذى يرى أن الثروة ضرورة فى حياته وليست غاية، وليست جزءًا من حياته فهو الإنسان الناضج ـ الالهى ـ إن من يتمسك بالشهوة عبدًا للرغبة ومنجرفًا نحوها، وإن كان عاشقًا للشهوة الجنسية فهو عبد للجنس، ويمكن أن نصفه بالجبن، لأنه بدد حياته فى عبادة الرغبات، ولم يفنيها فى عبادة الله، ويزهد فيه كالإنسان الإلهى»[2].

إن مفهوم الرغبة الذى تناوله فيلون هنا ركز على جانب واحد من الرغبة حيث إن الرغبة يمكن أن تتفتق عن اتجاهين: أولهما الرغبة التى تعنى التوق

(1) Philo: The special laws 1, ch xxviii, 151, p 185..

(2) Philo: Allegorical interpretion ch vi, 20-21, p 239.

إلى الله، أعنى، الزهد كى نصل إلى الله، والأخر الرغبة أو الميل نحو الأشياء الحسية كاللذة الجنسية أو الطعام والشراب، وفيلون هنا قد ركز على الجانب الثانى من الرغبة للمناقشة الذى بكبحه واستئصاله يمكننا أن نصل إلى الجانب الثانى للرغبة وهو الزهد فى الله.

لم يقتصر فيلون على مفهوم الرغبة وهو يتحدث عن مفهومه الزهدى ليذهب لمناقشة أكثر عمقًا وهو يتحدث عن اللذة. وحديثه عن اللذة يعد نظرًا لظروف واقعه الفكرى. إما رد فعل للرواقية. ذلك المذهب المادى الذى يقرر «الحياة وفقًا للطبيعة»، أو أنه تيار مضاد للمذهب الأبيقورى، أو أنه يسير مع الاتجاه الكلبى الزهدى الذى لا يولى اهتمامًا للحياة. فهو بشكل أو بأخر هو نتاج تيارات فكرية طوقت ذهن فيلون. فإلى أى حد هو يختلف معها أو يتفق؟ الإجابة على هذا التساؤل تضعنا أمام تساؤل أخر وكيف تصور فيلون اللذة أولًا؟

إن الإجابة على التساؤل الثانى حاول فيلون أن يجمعها فى كتاباته عن التأويل المجازى، وإن ما وحد فى مؤلفاته عن هذا المفهوم هو مترادفات أو شروح لما تضمنه هذا المفهوم فى هذه الكتابات.

خاصة وهو يفسر النص التوارتى «وعلى بطنك تسعين»[1] يرى أن السعادة الناتجة عن اللذة لا تتبع الكائنات الساكنة وإنما نتبع للكائنات الحية، فالاستعار فى حركته يختلف عن التوهج Blazing، فالعاطفة تتحرك داخل النفس دون أن تعتد بسكون النفس، فالنبى لا يساير الذين يقولون أن اللذة ساكنة فهى ليست حجرًا ويعنى ذلك أن اللذة ليست سكونًا إنما كائن حى يتشابه فى وجوده والحية التى تسعى على بطنها لا تعرف السكون، وهذه

(1) وقال الرب الإله للحية، لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعينً سفر التكوين 3 /14.

الحية هى وحواء واحد[1]. وإن كان ذلك كذلك فإن حواء هى اللذة بما يظهر على جسدها من مثيرات.

والمرأة التى خلقت من ضلع آدم. التى أطلق عليها فيلون اللذة. «كانت إدراكًا خاملًا وعندما ملأت باللحم أصبحت فى حالة نشاط دائم»[2].

ولما كانت هى كذلك سميت بالمرأة، وكل شيء مدرك يسمى امرأة[3] نعنى أن كل شيء مدرك إدراكًا شعوريًا يمكن أن يحمل استثارة لذية فقد خلق الله المرأة وبها قوتين متدرجتين الأولى العقل والأخرى الأعضاء الحسية، وخلق فيها على ذلك الملذات الحسية والروحية، والروح فيها تجمع هاتين القوتين المتدرجتين الكامنتين معًا فى نفسها، والسبب فى ذلك، هو أن الملذات كالحية تتغير وتتحرك[4].

وتسيطر المدركات الحسية على تلك القوة الموجودة فى المرأة على عقلها وإن كانت مدركاتها الحسية تسيطر عليها فهى تتساوى والحية، والحية أخبث مخلوقات الله[5].

ونخلص من هذا إلى أن فيلون أنزل المرأة بمداركها الحسية منزلة دانية وساواها واللذة التى تغرى الإنسان، لأن حواء أخرجت آدم من الجنة كما أن اللذة تخرج العقل من ثباته الصحيح أو الحالة المستقيمة التى يكون فيها. جاعلًا من ذلك التشبية، صفات للذة، وهى أن اللذة خبيثة كالحية الملعونة، وأنها ملعونة أيضًا كالحية أحط مخلوقات الله، وهذه الصفات تجعل من اللذة كائن حى يتحرك وليس ساكنًا، لأنها إذا كانت ساكنة فإنها لا تغرى

(1) Philo: Allegorical interpretion iii, ch lv,160, pp 407 - 409.

(2) Philo: Allegorical interpretion ch xii, 43, p 251.

(3) Ibid: chxv. 53, p 257.

(4) Ibid: chxviii, 72, p 269.

(5) Ibid: chxviii, 73, p 271.

الإنسان وتخرجه من حالة الصواب الذى عليه. وهذا يعنى ضمنًا أن اللذة مبدأ مادى منبوذ لدى فيلون، يتساوى به فيلون مع المذهب الكلبى.

هنا تظهر ضرورة الزهد والتصوف عند فيلون، من حيث تخليص القوتين الكامنتين فى الإنسان من هذه الشرور، «ويكون الزهد من جانبين الأول: الزهد الجسمى الذى يركز على العفة، لأن الجسم مرهون بالإحساسات والثانى: يكون الزهد الروحى، حيث يركز العقل تحليلاته على الخير الحقيقى[1]. «كإسحاق» الذى تخلى عن ذاته وقدم نفسه للرب، من خلال اعترافه بالعرفان وهذا الاعتراف والعرفان يدلل على أن العقل يتجه نحو الله الذى يهبه هذا العرفان، فهو قد أعطاه من قبل إسحاق إلى إيشكار»[2].

واعتراف إسحاق للرب لم يكن إلا لعلمه أن الانغماس فى الملذات يؤدى للموت، لأن الرب يرسل الحيات المميتة التى تلدغ ممن ينغمسون فى شهواتهم ومن لم يستطيعوا أن يقدموا عرفانًا للرب وشكرًا، فإنهم يذهبون إلى موسى لكى يصلى من أجلهم لكى يبعد الرب عنهم الحيات المميتة[3].

ويرى فيلون أن الخطايا التى وقع فيها هؤلاء يتم تطهيرها من خلال حية أخرى مضادة إلى الحية التى كلمت حواء فى الجنة لكى تأكل من شجرة الخير والشر بالتحديد هذه الحية هى مبدأ ضبط النفس، لأن ضبط النفس يكون دائما مضاد للذات، هذه القابلة للتغيير تدفع عن نفسها الملذات عدوتها لذا يطلب الله من موسى أن يضع له حية تخصه هو وليس لأحد أخر فيقول له الرب: «اصنع لنفسك حية»، لا أحد يملكها، لأنها ستكون حية برونزية.....، والإنسان الذى يشبه الحية لا يموت، بل يعيش فى

(1) Philo: on Dreams 1, chv111, 46, p 219.

(2) Philo: Allegorical interpretion1, ch xxvi, 83-84, p 203.

(3) Philo: Allegorical interpretion11, ch xx, 80, p 275.

حد ذاته حقيقة لا ريب فيها، لهذا السبب عندما يلدغ الإنسان بسم الحية الماكرة التى تتمثل فى الملذات والشهوات الجسدية، فالحية التى رأتها حواء وكلمتها، رأت بواسطة الروح ضبط النفس والتحكم فى الذات التى تتمثل فى الحية التى صنعها موسى من البرونز، من خلال رؤية ذلك، رأى موسى محبة الله له[1].

إن التطهير أو الخلاص من الملذات عند فيلون كما ذكر يتم بمناقض للملذات أو بحية، وكان فيلون قد ذكر أن الملذات هى حيات، فماذا يعنى ذلك عنده، إنه يعنى أن ما هو مضاد للمذات لا بد وأن يكون كائنًا حيًا مثله، فالفضيلة ـ الحية المضادة للمذات ـ هى كائن حى أيضًا. ويجب أن لا يختلق علينا كون حواء هى اللذة وهى حية وفى نفس الوقت حية مضادة للحية الأولى. إن فيلون يحدد هنا بجلاء أنها رأت بالروح أن تضبط النفس بنفس الكيفية التى صنعها موسى لنفسه من حية برونزية. ولكنها لم تفعل واقتربت من الشجرة وأغوت آدم للأكل منها.

لقد أدرك موسى بزهده تبنى حية برونزية وكان نتيجة هذا التبنى أنه أدرك محبة الله، وقد اختار لنفسه طريقًا سميًا، وإذا كان موسى قد نجح فى ذلك فإن « هناك نفوس أخرى قد تحلت بضبط النفس والتحمل وأدركت وجود الله فى نفوسها إلا أنها تحولت إلى الطريق الأدنى وهم بذلك يميلون إلى الاتجاهات المعاكسة لدرجة أن موسى يتسائل قائلًا من الذى نجاك وقد قادك من هذه الأهوال والوحوش حيث توجد العقارب والحيات اللادغة المميتة. من الذى نجاك من الجفاف حيث لا يوجد ماء، من الذى صنع لك نبع المياة فى الأحجار الصلبة، من الذى ساعدك على الهرب من مصر، وأنزل عليك المن والسلوى من السماء. وقد فضلت الملذات والانغماس فيها على الطريق الأسمى، أعنى طريق من وهبك كل ذلك»[2].

(1) Ibid: chxxi, 83-87, pp 277-79.

(2) Ibid: chxxii, 88, p 281.

«إن الإنسان الذى يتعرض للأماكن الموحشة يقابل الحيات القاتلة والمميتة. هذا الإنسان الذى انغمس فى الملذات التى تؤدى إلى الموت، هذا الإنسان ليس له علاج إلا ضبط النفس التى يتمثل فى الحية التى صنعها موسى من البرونز، أما من تعرضوا للشتات فعلاجهم هو الكلمة الإلهية[1]».

ونخلص من هذا أن ضبط النفس يجب أن يكون هو المسيطر على الروح، لأن طريقها ملئ بالمكاره التى تحيط بها، فطريق الحية البرونزية قليل من يخوضه ويعبروا إليه، أما طريق الرذيلة فهو غير صالح للعبور.

ويشبه فيلون الرذيلة بالخيل، وليس الرذيلة فحسب، بل الحياة الفانية والدوافع الإنسانية التى تحس على الرذيلة، فالرذيلة كالخيل تملك أربعة أرجل دوافعها مليئة بالشرور والوحشية مؤيد بذلك ما جاء فى سفر التكوين «يلسع عقبى الفرس» حيث تلدغ شريعة ضبط النفس الدوافع الشريرة. و«الخيال» فى حد ذاته هو الإنسان أو العقل الذى يعتمد على الدوافع الشريرة، تلك الدوافع التى تسقط إذا تعثرت، أما الدوافع التى لا تتعثر فيجب على الإنسان اتباعها والسير خلفها. إن العقل عندما ينغمس فى الملذات والشهوات، وهنا لا بد أن يقرر الإنسان الهروب من تلك الشرور والرذائل. وهذا الهروب هو خلاص من الرب ويجلب البركات الإلهية، والإنسان باتباعه الرب يلقى بالخيل والخيال فى البحر، لأن الخيال بمثابة الشخصية المعدية التى يجب أن تكون فى البحر، حتى لو استطاع أن يهرب من تحت الماء، والخيال الذى يركب الخيل الجامح ويقع منه فهؤلاء الذين ينغمسون فى الرذيلة، والأول على ذلك أنه يدعى الخيال، أما الأخر فيدعى راكب الخيل. إن وظيفة الخيال أن يهذب حصانه، أما الراكب فهو لا يعبأ إلا بأن يحمله هذا الخيل فقط، فالخيال الذى يكبح

(1) Ibid: chxxiii, 92, p 283.

هذه الدوافع لا يبقى فى الملذات، بل يهرب منها وينتظر خلاص الرب، السيد على هذا الكون».

إن فيلون هنا يقرر طريقًا أخرًا للخلاص من اللذة أو الرذيلة ـ الخيل ـ وهو الفرار أو الهروب من هذه الشرور، وهذا الهروب يمثل طريقًا ثانيًا بجانب طريق ضبط النفس، وقد سبح فيلون بخيالنا فى استعارات لها مدلولات رمزية قصد منها تأويل ما ورد فى الكتاب المقدس وجاء هذا الفرار كطريق نهائى إذا لم يستطيع أن يتحكم الإنسان فى ضبط ذاته، والملاحظ أن هذين الطريقين المبتدعين من جانب فيلون يرميان إلى هدف واحد وهو الوصول إلى الحية البرونزية التى يمتلكها موسى، أعنى، الفضيلة المضادة للرذيلة، كما أن هذين الطريقين هما هبة من الله، فالحية البرونزية التى تحاول ضبط النفس هبة من الله لموسى والفرار أيضًا هبة من الله للخيال الذى يحاول أن يهذب فرسه[1]. وإن كان ذلك كذلك فإن الوصول إلى الزهد يأتى بقرار داخلى من الإنسان، أو إيمان بأن الله هو خالق العالم، وإذا استطاع ذلك فإن الله يلهمه الحية البرونزية التى علمها موسى، والتى يصلى بها موسى لخلاص البشر.

فالهروب يعنى عنده أيضًا صعود الإنسان خطوة من الروابط الأرضية ليغادر أرضه ويتجه بكل حواسه ومشاعره وكل قواه، وهذا ما يجعل فيلون مختلفًا عن الرواقية، فنفس الإنسان عندهم كالجزء الإلهى[2].

ويتجسد الهروب عند فيلون فى يعقوب الذى هرب من وجه «لابان» ناحية جلعاد[3] فالهروب هنا هروب من طريقة التفكير التى تحكمها الأعضاء

(1) Ibid: chxxvi, 102 107 -, pp 289-291.

(2) Encyclopedia Judica: philo, p 413..

(3) فسرقت راحيل أصنام أبيها. وخدع يعقوب قلب لابان الأرامى. إذ لم يخبره بأنه هارب. فهرب هو وكل ما كان له أرقام وعبر النهر وجعل وجهه نحو جبل جلعاد. سفر التكوين 31 / 21-19.

الحسية، فعلى سبيل المثال، إنك إذا رأيت شيئًا جميلًا وأصبحت أسير هذا الجمال، فقد يكون لك ذلك سبب عثرة، وتهرب من المنظر دون أن يعلم بك أحد، ولا تجعل عقلك يفكر مرة أخرى بهذا الشيء، لأن التفكير المستمر فى شيء يجرح العقل، ويأتى به إلى الدمار، وهذا المبدأ يساير أى نوع من الانجذاب، الذى يمكن الوصول إليه بأى عضو من أعضاء الحس الموجودة فى الإنسان. لذلك تهرب من هذا الانجذاب خوفًا من أن تشعر أن هذا الشئ هو إلهك، فالعقل لا يحب أن يكون عبدًا للأعضاء الحسية الخارجية، لذا وجب عليك أن تهرب[1].

واضعون فى الاعتبار أن هروب يعقوب قد اجتاز فيه النهر نحو الجبل «جبل جلعاد»، هذا العبور هو هروب يعقوب من أعضائه الحسية، وإغراق كل الدوافع الخبيئة فى الإنسان، وجعل الله وجهته قبل الأماكن العالية، حيث تكون الفضيلة حيث يقول الرب «جبل جلعاد المرتفع» وهذا الجبل يعنى «هجرة الشهود»، لأن الله جعل الروح تهرب وتهاجر من تلك الدوافع الشريرة التى تتجسد فى شخصية لابان. التى سرقت الدوافع الجيدة من يعقوب[2].

يعنى ذلك أن الروح إذا تحررت خلصت عنها الشرور والرذيلة، وتحرر الروح يتبعه بالطبع تحرر العقل من الرذيلة والشرية، فإذا استطاع الإنسان أن يطلق سراح الروح فإنه يخرجها من سجنها الذى يعد الإنسان لها، فكثير من البشر جعل روحه عرضة للاستمتاع بالموسيقى والآلات، وبل والأكثر من ذلك جعلوا لكل عضو متعته التى يسجن فيها.

وإذا كان هروب يعقوب قد رُمِز له مجازيًا وهو التخلص من رجس

(1) Philo: Allegorical interpretion 111, chv, 16-17, p 311.

(2) Ibid: ch 111, 81, p 218..

الرذيلة والشهوات الفانية، فإن وجهته لم تكن إلى الأماكن العالية فحسب إن وجهته كانت نحو الخلاص «من الآلهة التى صنعت من المعادن والتى نهى عنها موسى، لأن هذه الآلهة تدمر الإنسان، وتنشر الرذيلة، فأنت تقرأ فى الكتاب أنهم أعطوا يعقوب آلهة غريبة كانت بين أيديهم، إلا أن يعقوب رفض الخضوع لهذه الآلهة، فالناس يصنعون من ملذاتهم أصنامًا يعبدونها»[1].

إن اللذة هنا عند فيلون تتحول إلى إله لمن يعتنقها، والخلاص الحقيقى هروب الروح مما يُعبد من آلهة، إن الروح التى نجحت هى الروح التى تجرأت وهربت ووقفت أمام الرب ولم تهرب منه.

وهذا يعنى أن هناك نوعين من الهروب عند فيلون، الهروب الأول، الذى تحدثنا عنه ـ هروب الإنسان من اللذة والرذيلة، والهروب الثانى هو الهروب من الرب، وهو محاولة هروب الإنسان من الرب لكثرة ذنوبه، ولتماديه فى الرذيلة كهروب آدم وحواء فى وسط الجنة لأكلهم من شجرة الجنة[2]. والإنسان الذى يريد أن يهرب من الرب، يرى بعقله إنه قادر على الهروب، إن هذا العقل فى حد ذاته هو الحية بالنسبة للروح، فالإنسان الذى يهرب من الله يلجأ إلى نفسه، إن العقل الذى يحاول أن يهرب من الرب يعتقد أن الله لم يخلق وأنه ليس سببًا فى وجود أى كائن، وأنه هو سبب ذاته، لأنه استطاع أن ينتج الفنون والعلوم[3].

وثنائية الهروب هذه تعنى ضمنًا ثلاثة أنواع من العقول. الأول وهو العقل الكونى الذى نظم العالم وخلقه عند فيلون مشابهًا فيه العقل الكونى الرواقى. العقل الثانى، الذى يغتر بذاته وهو لا يستطيع أن يساعد نفسه، ذلك

(1) Ibid: chv111, 24, p217 and see also, chxv, 47, p 333..

(2) فاختبأ آدم وأمراته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة سفر التكوين 3 / 8.

(3) Ibid: chix, 31-32, p321 and see also, chxiv, 44, p 331.

العقل الذى يحاول أن يهرب من الرب، وهو يتخلى عن الفضيلة ويخفى نفسه من الرب، وهذا العقل الذى يُأسف له لإلحاده، أما العقل الثالث، وهو الذى يتحلى بالفضيلة ويهرب من نفسه لكى يلجأ إلى الرب الإله.

العقل الأول لا مجال للخوض فيه لأنه الله الخالق، والعقل الثانى هو العقل الطاغية الذى يسبب المتاعب والألأم للروح والجسد لأنها تقع تحت إغوائه لها[1]، أما العقل الثالث فهو العقل الذى يرى كل المخلوقات نعمة من الرب والنعمة تخص الرب وحده، وهى صفة من صفاته، وقد يجسد هذا المعنى للعقل نوح، ذلك الإنسان البار، الذى لا تعتريه الخطيئة فيغضب الرب منه، وإن هو كذلك فهو القائد البار الذى يقود سفينة الحياة نحو المبدأ البار، على اختلاف الإنسان الطاغية الذى يقود نحو الحروب[2].

وقد يجسد العقل الثالث بجانب نوح ـ الإنسان البار ـ عقل موسى الذى يدرك من خلال وجوده المخلوقات لا من خلال الأشياء المخلوقة، بل يرفع عينيه إلى السماء، ويتأمل العجائب من خلال صورة أبعد من صورة الخلق، وتتكون لديه رؤية لكينونة الإله الخالق والعقل الكونى، حيث قال موسى أظهر نفسك لى، دعنى أراك حتى أراك، لا أريد أن تظهر لى فى الأسماء ـ الأشياء المخلوقة. لأن التفكير فى الأشياء المخلوقة سرعان ما ينحل وينزوى، أما التفكير فيك لا يزول إنه أبدى، فظهر له الرب خلال شجرة العليقة[3].

ولما كان العقل الطاهر ـ الثالث ـ يقدر الإله فإنه يفتح له الخزائن المليئة بالأشياء الطيبة. لأن روحه توجهت إلى الاتجاه الصحيح فى خطواتها، أما

(1) Ibid: chxxiv, 80, p 353.

(2) Ibid: chxxvi, 82, p 355.

(3) Ibid: chxxxiii, 101-103, p 368.

العقل الملحد ـ الثانى ـ فهو عقل ملعون ويستحق أن يعاقب ونطلق عليه الحية ـ الحية بمعناها الخبيثة ـ لأن الحية بمعناها البرونزى قد أعطيت لموسى. وهذا العقاب من الله للعقل الثانى لأنه روح تقدم كل مصادر الشهوة بدلًا من أن تقدم الفضيلة، فهو يستخدم كل المقومات لإنتاج هذه الشرور والرذائل[1].

ونهاية، فإن هناك ثلاثة عقول، العقل الأول هو العقل الذى يهب القوة والنعمة للعقل الثانى والثالث، اللذان يعدان متضادان بعضهما البعض فالأول منهما ملحد والأخر مؤمن، وعليه فكلاهما يُعطى حية تتناسب وصفاته فالملحد يطلق عليه الحية الخبيثة التى تسعى على بطنها، لأن مركز الشرور فى البطن والمؤمن يسمى بالحية البرونزية لأنه يحاول أن يدرك الطريق الصحيح نحو الإله. وهذا التصنيف الذى وضعه فيلون للعقول قد نتج عن نوعى الهروب ـ الهروب بالمعنى الأول. الهروب من الرب ـ والهروب الثانيـ الهروب إلى الله. وهذا الهروب الأخير مثل طريقًا جديدًا للخلاص بجانب الطريق الأخر وهو ضبط النفس. وهذه الأبعاد فى مجملها كونت طريقًا يهوديًا فلسفيًا جديدًا نحو الخلاص. ومدى تجديدها وجديتها يمكن أن يلحظ من خلال الرجوع أصول التصوف الفيلونى.

ثالثًا ـ مصادر التصوف الفيلونى

1 ـ أفلاطون

إن فلاسفة اليونان الأفلاطونيين والمشائيين انقسموا حول هذين المذهبين فى ارتباط النفس بالجسد. فالأفلاطونيون يسيرون مع أفلاطون الذى يصور وجود النفس فى الجسم بوجود الربان فى السفينة، والمشائيون

(1) Ibid: chxxxviii, 114, p 377.